ظهور الهجرة الدولية بمنطقة بني عمـير وتطورها

- عوامل انتشار الهجرة الدولية ببني عمير-

The apperance and development of international migration in Beni Omair

-The factors of the spread of international migration -

يونس معديني

Madini Younes

جامعة السلطان المولي سليمان، بني ملال (المغرب)، younes.madani32@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/08 تاريخ القبول: 2020/03/22 تاريخ النشر: 2020/03/31

ملخص: على الرغم من غنى مواردها الفلاحية، عرفت منطقة بني عمير (إقليم الفقيه بن صالح) انتشارا مهما لحدث الهجرة الدولية خاصة نحو ايطاليا واسبانيا. وقد شغلت هذه الظاهرة تفكير عدد من سكان المنطقة، وصارت حلما يسعى كل واحد إلى تحقيقه، لتتحول في ظرف وجيز إلى حوض هجروي مهم على الصعيد الوطني.

وتجدر الإشارة أن إلى أن عوامل كثيرة قد تحكمت في إنتاج هذه الظاهرة الاجتماعية غير المسبوقة على صعيد المنطقة. من هذه العوامل ما له علاقة بالقرابة الدموية والجوار الجغرافي، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية، ومنها ما هو مرتبط بالشبكة الهجروية *réseau migratoire* التي وفرها المهاجرون الأوائل بكل من ايطاليا واسبانيا، حيث ظلوا يقدمون مجموعة من الخدمات لأبناء المنطقة. إضافة إلى هذا وذاك، لعبت بعض المناطق المجاورة لبني عمير مثل منطقة بني مسكين بجوار مدينة سطات دورا مهما في انتشار ثقافة الهجرة بين الأفراد.

كلمات مفتاحية: الهجرة الدولية، بني عمير، ذاكرة الهجرة، شبكة الهجرة.

Résumé : *Malgré ses richesses et ses dotations en ressources agricoles, La région béni- amîr (province de Fkih ben Salh), a constitué un basin migratoire, à destination de l'Espagne et de l'Italie, et qui a un poids considérable sur le plan national.*

Divers facteurs, et mécanismes sont à l'origine de l'essor de cette émigration, les relations sociales, les liens de parenté, les réseaux migratoires en Espagne et en Italie, et le voisinage géographique ont facilité la migration, et son propagation en tant que culture.

Mots clés *: migration international ; beni Aamir ; réseau migratoire ; mémoire migratoire.*

المؤلف المرسل: يونس معديني، الايميل: younes.madani32@gmail.com

1. مقدمة:

تعتبر الهجرة الدولية من الظواهر التي أصبح يعرفها عالمنا اليوم: فكل دول العالم صارت تستقبل مهاجرين جدد، وفي الوقت نفسه يغادرها هي الأخرى عدد من سكانها نحو بلدان ودول أخرى. لكن مع وجود فارق كبير: فهناك دول صارت وجهة لعدد مهم من المهاجرين مقابل دول تعرف نزوحا لعدد من سكانها نحو بلدان أخرى، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصفون هذا العصر بـ«عصر الهجرة" ("أنتوني غيدنز، 2001، ص:60)، فقد تحول هذا العالم وفق التعبير الذي استعمله المشاركون في المؤتمر الثامن للجغرافية إلى قافلة للهجرة (أبلال عياد، 2006، ص:27).

لقد كانت الهجرة الدولية المغربية إفرازا للسياق الوطني والدولي، فقد برزت الظاهرة خلال الفترة الكولونيالية أي خلال مرحلة الاستعمار. ضمن هذا السياق الوطني ظهرت مناطق جديدة لانطلاق الهجرة الدولية، حيث لم تعد تيارات الهجرة الدولية مصدرها فقط المناطق الفقيرة اقتصاديا والمهمشة اجتماعيا والمتمثلة أساسا في مناطق الدير والجبل، بل نجد أن هذه التيارات صارت تغذيها كذلك مناطق غنية من الناحية الاقتصادية. وبموازاة مع ذلك، ظهرت بلدان هجرة جديدة صارت تجذب نحوها عددا من المهاجرين، ونعني هنا كل من ايطاليا واسبانيا بعدما تحسنت أوضاعهما الاقتصادية.

في هذا السياق برزت منطقة بني عمير بسهل تادلا كحوض هجروي انطلقت منه تيارات هجروية مهمة، فهذه المنطقة لم تكن منغلقة على نفسها إذ ظلت تربطها علاقات تاريخية بالمناطق المجاورة لها. فبعدما كان هذا المجال يستقطب عددا مهما من المهاجرين الباحثين عن فرص شغل بالقطاع المسقي أصبح حاليا يغذي تيارات هجروية مهمة نحو الخارج وخاصة نحو ايطاليا واسبانيا.

حيث تتمحور الإشكالية التي سنحاول الإجابة عليها في هذا البحث على الشكل التالي: كيف ساهم حدث الهجرة الدولية في تشكل ذاكرة هجروية بمنطقة بني عمير وجعلها تتميز بخصوصيات معينة؟ وبهدف توضيح الإشكالية المطروحة، لابد من طرح مجموعة من التساؤلات التي ستعيننا على إماطة اللثام عن العناصر الأساسية للإشكال المطروح، وفي هذا الإطار قمنا ببلورة الأسئلة التالية: ما هي الظروف والعوامل التي ساهمت في ظهور وتطور الهجرة الدولية ببني عمير؟ وكيف انتشرت ظاهرة الهجرة بمنطقة بني عمير؟

وكما هو معلوم في حقل العلوم الاجتماعية فهي تستوجب وضع فرضيات، في هذا الصدد قمنا بصياغة مجموعة من الفرضيات للإجابة عن إشكالية البحث المطروحة والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- **الفرضية الأولى**: شكلت الهجرة الدولية في اتجاه ايطاليا واسبانيا في السنوات الأخيرة حدثا بارزا بمنطقة بني عمير بشكل خاص وسهل تادلا بشكل عام، وهو حدث انخرط فيه عدد من سكان المنطقة بمختلف أعمارهم.
- **الفرضية الثانية:** تحكمت مجموعة من العوامل والآليات في انتشار الفعل الهجروي بالمنطقة، فقد كان للقرابة الدموية والجغرافية والعلاقات الاجتماعية دور في انتشار ثقافة الهجرة وانتقالها بين الأفراد.

في هذا الإطار شمل بحثنا هذا بالدراسة منطقة بني عمير، حيث اعتمدنا في اختيار الدواوير موضوع الدراسة على معيار القرب الجغرافي من منطقة بني مسكين، بهدف معرفة الدور الذي يمكن أن تكون قد لعبته هذه المنطقة في انتقال الفعل الهجروي. وعلى العموم فقد أجرينا بحثنا على 5 دواوير بمنطقة بني عمير وهي: (دوار أولاد امبارك، أولاد ركيعة، أولاد سالم، أولاد احمد، أهل امربع) كما يوضح الشكل 1.

الشكل 1: خريطة توزيع الدواوير التي خضعت للدراسة الميدانية.

أما بالنسبة للهدف من هذا البحث، فيكتسي أهميته من خلال محاولته الوقوف على خصائص الذاكرة الهجروية سواء في بعدها الفردي أو الجماعي، وكذا ظروف وعوامل تشكلها بمنطقة ظلت تعتبر مختبرا للهجرة على الرغم من تجربتها السقوية المبكرة. فالهدف إذن هو محاولة توثيق الفعل الهجروي بالمنطقة وتحديد الكيفية التي انتشرت بها الهجرة الدولية، وذلك اعتمادا على منهج بيوغرافي يقوم على سير حياة المهاجرين الأوائل.

فالإسطوغرافيا التي أنتجت حول الهجرة الدولية بالمنطقة لم تعط للموضوع حقه، مع العلم أن المهاجر المغربي عامة والمهاجر العميري على وجه الخصوص يعتبر فاعلا أساسيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمناطق الانطلاق.

ومما لا شك فيه أن المنهجية المعتمدة في البحث تعتبر من الخطوات المهمة باعتبارها تنير الطريق أمام الباحث وتجنبه التيه والابتعاد عن صميم الموضوع، ضمن هذا الإطار وجهنا اهتمامنا إلى الاطلاع على النظريات التي اهتمت بالهجرة وكذلك الدراسات السابقة حول الظاهرة.

كما اعتمدنا على البحث الميداني، وذلك بهدف الاقتراب من واقع الموضوع حيث حاولنا الجمع بين "المنهج الكيفيMéthode Qualitative والمنهج الكمي Méthode Quantitative نظرا لأهميتهما في فهم الظاهرة، من خلال اعتمادنا على منهجية السير الحياتية récit de vi***e***. (توفيق أكومي،2000، ص:17-24) وهي نموذج بحثي يقوم على المنهج البيوغرافي من خلال توظيف منهجية "سير الحياة

التي تستهدف إعادة إحياء تجربة الفاعلين. هذا المنهج يعتبر من المناهج النوعية الهامة في العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء.

1. سهل تادلة حوض هجروي تطور بشكل مهم خلال العقود الأخيرة:

1.2. انطلقت الهجرة الدولية بشكل مبكر من منطقة الجبل والدير بسهل تادلة:

اقتصرت الموجة الأولى للمهاجرين بسهل تادلة على المناطق الجبلية ومناطق الدير، حيث كانت بداياتها خلال مرحلة الحماية واستمرت بعد الاستقلال، فقد ظلت وجهتها الرئيسية هي فرنسا نظرا لحاجتها الملحة إلى اليد العاملة لإعادة بناء اقتصادها بعد الحرب العالمية الثانية.

حيث تميزت بكونها هجرة انتقائية ارتبطت تاريخيا بالفرنسي فيليكس مورا Félix Mora (أحد الضباط الفرنسيين ورئيس مكتب الشؤون الأهلية بكلميم إبان فترة الحماية الفرنسية) الذي كان يسهر على تدبيرها، وهي هجرة منظمة من طرف الحكومة الفرنسية عن طريق عقود العمل ومن بين هذه المناطق التي شملتها الموجة الأولى من الهجرة، نذكر القصيبة التي كان حاكمها ويدعى " سعيد واسو" على معرفة شخصية بهذا الضابط الفرنسي.

لقد كانت الهجرة بمنطقة الدير والجبل (نموذج القصيبة) تتم وفق مجموعة من المعايير في انتقاء الأشخاص الذين يتوفرن على مؤهلات جسمانية تجعل الشخص قادرا على القيام ببعض الأعمال الشاقة مثل قطع الأشجار بالغابات الفرنسية. على هذا الأساس توجه المهاجرون الأوائل نحو فرنسا بعدما تمكنوا من الحصول على عقد عمل، لتتوسع دائرة الهجرة بعد التحاق مهاجرين آخرين عن طريق شراء عقود للعمل ومنهم من أبرموا عقد زواج مصلحة مع إحدى الفرنسيات للحصول على أوراق الإقامة.

إن ما يميز الموجة الأولى من المهاجرين هو انطلاقها من مناطق فقيرة اقتصاديا، تتميز بظروف طبيعية قاسية وتعاني من التهميش الاجتماعي. وهذا عكس الظروف السوسيو اقتصادية للموجة الثانية. كما ظلت الهجرة إلى أوربا (نموذج فرنسا) خلال الموجة الأولى (فترة الستينات) ينظر إليها في غالب الأحيان بشكل سلبي ويتم تمثل فاعليها على أنهم فاشلين اجتماعيا ومعرضون للتنصير دينيا وعدم شرعية الأموال التي يتم جنيها ببلاد النصارى.

2.2. ظلت منطقة بني عمير في منأى عن الهجرة الدولية المنظمة.

لم تندمج منطقة بني عمير ضمن الهجرة الدولية المنظمة التي عرفتها مناطق الدير والجبل، ويعزى ذلك إلى جملة من الاعتبارات تتمثل أساسا في الأهمية الاقتصادية للسهل على المستوى الوطني نظرا للتجربة السقوية المبكرة التي عرفها، فقد شكل النشاط الفلاحي العصري وبعض الوحدات الصناع فلاحية والإدارية بنى تحتية ساهمت في تأخر هذا الاندماج.

ففي بداية القرن العشرين عرفت منطقة بني عمير مجموعة من التحولات الفلاحية، والتي انطلق مسلسلها بإدخال السقي العصري مما ساهم في الانتقال من بنيات فلاحية ما قبل رأسمالية تعتمد على الزراعة الموسمية والرعي الواسع إلى بنيات فلاحية رأسمالية ترتكز على نظام كثيف في الزراعة وتربية الماشية(مدينة محمد، 1992، ص:246) وكنتيجة لعملية السقي فقد ارتفع ثمن الأرض ليبلغ ثمن الهكتار المسقي العالي الجودة حوالي 18 مليون سم، بينما لا يتعدى ثمن الهكتار البوري 4 ملايين سم، كما ارتفع الإنتاج وتعددت أنواع المحاصيل الزراعية مما خلق فرص مهمة للعمل (أبو العز عبدالفتاح، 2003، ص: 32).

3.2. انخرطت منطقة بني عمير ضمن الموجة الثانية من الهجرة الدولية مع بداية الثمانينات:

بالرغم من أن منطقة بني عمير تشكل نموذج لمناطق السهل التي عرفت تجربة سقوية مبكرة فإنها تحولت إلى حوض هجروي، وهو ما أشار اليه أحد الدارسين بالقول "فالسهل الغني بتجهيزاته الهيدرو فلاحية يأبى إلا أن ينخرط في تيار الهجرة الدولية التي مست% 20 من أسرة أي 12000 مهاجرا دوليا ليعاكس أطروحة ارتباط الهجرة الدولية بالنطاقات الفقيرة وغير المجهزة". فما هي خصائص هذه الهجرة؟ (أبو العز، 2003، ص:32).

عرفت منطقة بني عمير خلال أواسط الثمانينات من القرن العشرين هجرة مهمة، شكلت كل من ايطاليا واسبانيا وجهتها الرئيسية وهي هجرة اتخذت شكلا غير منظم عكس ما شهدته منطقة الجبل والدير. فمن خلال البحث الميداني أمكننا الوقوف على التطور الكرونولوجي لهذه الهجرة.

يتضح لنا من خلال البحث الميداني أن حوالي 20% من المهاجرين كانوا يتواجدون بالخارج قبل سنة 1976، بل أن أحد هؤلاء المهاجرين العميريين الأوائل قد هاجر نحو أوربا سنة 1957 (يتعلق الأمر بشخص ينتمي لدوار أهل امربع قد تمت هجرته سنة 1957، حيث يشكل استثناءا منفردا

داخل المجال العميري)، وبذلك فالهجرة الدولية بمنطقة بني عمير قد برزت أهميتها بشكل بارز خلال أواسط الثمانينات، وان كانت بوادرها الأولى قبل ذلك كما سبقت الإشارة، غير أنها كانت ضئيلة ولم يكن لها تأثير كبير. ويمكن الوقوف على خصائص كل مرحلة على الشكل الأتي:

- **المرحلة الأولى: ما قبل 1976**

لقد شكلت هذه الفترة البوادر الأولى لانطلاقة للفعل الهجروي بالمنطقة، فعدد المهاجرين إبان هذه المرحلة ضئيل مقارنة بالمراحل اللاحقة، والبعض من هؤلاء المهاجرين هاجر خلال أواسط الستينات، ويمكن القول أن الأمر يتعلق بعدد قليل من الأشخاص الذين كانوا يتعاطون للتجارة بشكل موسمي ولا يتوفرون على بطاقة الإقامة بدول الاستقبال التي ظلت تعتبرهم مهاجرين غير قانونيين على أراضيها نظرا لكونهم دخلوا الأراضي الايطالية بجواز سفر فقط، لكنه ونظرا لحاجة اقتصادها لليد العاملة فقد كانت تتعامل بنوع من المرونة مع هؤلاء المهاجرين، يقول أحد المستجوبين:

" هاجرت إلى ايطاليا سنة 1972 (...) وكنا نهاجر فقط بجواز السفر (...) والبلد الذي يتساهل مع وضعيتنا (المهاجر يكون في وضعية غير قانونية عند وصوله لإيطاليا) كما أخبرني أبناء الدوار هو ايطاليا (...) فبالرغم من أنني كنت أمر عبر فرنسا فإنني لم أفكر يوما أن أستقر فيها، لأنني لا أعرف عنها أي شيء... كما أن تعامل الفرنسيين معنا يطبعه العنصرية " (مهاجر ب. ن 60 سنة).

بل إن هذا التعاطف قد يصل أحيانا إلى تقديم المساعدة عكس الممارسات العنصرية التي يواجهونها في بعض البلدان، كما أن المهاجرين الأوائل الذين هاجروا خلال هذه الفترة تأثروا بهجرة المناطق المجاورة، ونعني هنا منطقة بني مسكين التي راكمت رصيدا هجرويا مهما وشكلت شبكة هجروية réseau migratoire مبكرة بإيطاليا.

- **المرحلة الثانية: 1976-1985.**

وخلال المرحلة الثانية (1976-1985) بدأ يتزايد عدد المهاجرين في التدفق نحو ايطاليا بشكل، كما أننا نسجل تقارب في وتيرة الهجرة لدى الدواوير التي شملها البحث. ومما ساهم في هذه الهجرة الدور الذي لعبه المهاجرون الأوائل بكل من ايطاليا واسبانيا بفضل توفر شبكة هجروية réseau

migratoire ناهيك عن الظروف المتأزمة التي عرفه القطاع الفلاحي بالمنطقة نتيجة الإجراءات التي طبقتها الدولة في إطار سياسة التقويم الهيكلي لسنة 1983 والتي تمثلت في تخفيض الدعم المقدم للفلاحين، وتزامن ذلك مع ما شهده المغرب من توالي سنوات الجفاف مما ساهم في ارتفاع تكاليف الإنتاج بالإضافة إلى ارتفاع حدة البطالة في صفوف الشباب.

- **المرحلة الثالثة: 1986-1995.**

لتعرف الهجرة وتيرة أسرع خلال المرحلة الثالثة (1986-1995) ويعزى ذلك إلى عمليات التسوية القانونية التي بادرتها الحكومة الايطالية وتشجيعها للتجمع العائلي، فمعظم المهاجرين من الجيل الأول قد تمكنوا من التأقلم مع طبيعة الحياة في بلدان الاستقبال ونجحوا في تحقيق نوع من الاستقرار، وهو ما دفع بهم إلى استقدام أفراد عائلتهم بعدما تمكنوا من تسوية وضعيتهم القانونية بكل من ايطاليا واسبانيا خلال هذه الفترة، كما صرح بذلك العديد من المستجوبين:

"حصلت على أوراق الإقامة بإيطاليا سنة 1986، ففكرت في اصطحاب 3 من أبنائي سنة 1988 ثم لحقتهم والدتهم سنة 1990 وقمت بكراء شقة والاستقرار بها" (مهاجر ط. م 60سنة). فالمهاجر بعد حصوله على أوراق الإقامة بالمهجر يضطر إلى تغيير ظروف عيشه من خلال استقدام أفراد أسرته وتوفير مسكن يضمن لهم الاستقرار، كما يضطر إلى تغيير وضعيته المهنية من خلال الاشتغال بأعمال قارة وذلك حتى يتمكن من تجديد أوراق إقامته.

- **المرحلة الرابعة: 1996-2005.**

خلال هذه الفترة بدأ عدد المهاجرين نحو ايطاليا في التراجع ويفسر ذلك بصعوبة العبور إلى الضفة الأخرى، حيث شرعت بلدان الاتحاد الأوربي ومن بينها ايطاليا في تشديد مراقبتها للحدود نتيجة التدفقات الكبيرة للمهاجرين، وبدأت نظرتها تتغير اتجاه هؤلاء بعدما حققت تطورها الاقتصادي، يقول أحد المستجوبين:

" فيما قبل كانت الحدود الايطالية مفتوحة لكنه ومع تطبيق نظام التأشيرة أصبح العبور نحو ايطاليا صعبا للغاية (...) فأصبح الحل هو الهجرة السرية..."(مهاجر م. ل 62 سنة).

- **المرحلة الخامسة: ما بعد 2006.**

وخلال الفترة الأخيرة (ما بعد 2006) تراجع عدد المهاجرين بشكل مهم جد وذلك بفعل الأزمة الاقتصادية لسنة 2008 التي أثرت سلبا على اقتصاديات بلدان المهجر، حيث بدأت تظهر بوادر هجرة معاكسة ونعني هنا "هجرة العودة"، في انتظار أن تتحسن الأوضاع الاقتصادية بهذه البلدان ليهاجروا إليها مرة أخرى.

2. العوامـل التي ساهمت في الهجـرة الدولية ببني عميـر

1.2. دوفــع اقتصــادية مرتبطة بتأزم القطاع الفلاحي:

كان ينتظر من منطقة بني عمير بعد ادخال السقي أن تصبح مجالا جاذبا للهجرة الداخلية من المناطق المجاورة، لكن نجدها عكس ذلك قد أصبحت حوضا هجرويا بامتياز. هذه المفارقة يمكن تفسيرها بمجموعة من العوامل في مقدمتها العامل الاقتصادي، فما أصبح يعانيه القطاع الفلاحي من مشاكل مرتبطة بالظروف التي عرفتها المنطقة خلال بداية الثمانينات خاصة بعدما أصبحت تتناقص فيها وسائل العيش المحلية قد دفع بالعديد من الأفراد إلى التفكير في الهجرة.

فالقطاع الفلاحي الذي ظل يشكل قطاعا أساسيا بالنسبة لمجال بني عمير قد أصبح يعاني من خلل ستكون له انعكاسات وخيمة على أبناء المنطقة، فقد عرفت تكلفة الإنتاج ارتفاعا متزايدا، حيث بلغت تكلفة الهكتار الواحد من الأرض حوالي 11000 درهم سنة 1991 نظرا لارتفاع تكلفة اليد العاملة. (عبد المجيد ازمو، 2006، ص: 50).

وبالرغم من أن ثمن المنتوجات الفلاح صناعية قد عرف ارتفاعا مهما فثمن الكيلوغرام الواحد من القطن ارتفع سنة 1993، إلا أن هذا التطور لم يكن يوازي تكاليف الإنتاج لهاته المادة مما جعل هامش الربح ضيقا ولم يتجاوز 678 درهم للهكتار سنة 1991، وأحيانا تفوق تكلفة الإنتاج الربح.

هذا في الوقت الذي تراجع فيه دعم الدولة للفلاح نتيجة تطبيق المغرب لبرنامج التقويم الهيكلي لسنة 1983 في المجال الفلاحي حيث تم إلغاء الدعم المخصص لبعض المزروعات ولبعض المعدات ووسائل الإنتاج الفلاحي. فبدءا من التسعينات تغيرت سياسة المكتب الجهوي للاستثمار

الفلاحي حيث أصبح الفلاح مطالبا بتسديد الديون التي في ذمته قبل فترة الإنتاج، فعلى سبيل المثال فان فاتورة ماء السقي يجب أن تسدد كل 3 أشهر وهو ما ساهم في ارتفاع تكاليف الإنتاج خاصة بعدما أصبح الفلاح يقوم باقتناء كل معداته الفلاحية دون مساعدة من الدولة، يقول أحد المستجوبين:

"(...) في تلك الفترة لم أعد أستطيع الاستمرار في الفلاحة، فقد أصبحت غير معول عليها لضمان مستوى عيش أفضل (...) فالدولة لم تعد تقدم لنا المساعدة (...) كما أنك تظل تشتغل كأجير بأجر قليل..." (مهاجر، ط. م 61 سنة).

وقد تزامن هذا الوضع مع ما عرفته المنطقة من توالي سنوات الجفاف حيث تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1980 إلى غاية 1995 من أشد فترات الجفاف الفلاحي التي عرفها المغرب، وهو ما كان له انعكاسات خطيرة على الوضع الفلاحي خاصة بالعالم القروي الذي كان يعاني من التهميش الاجتماعي (عوينة عبد الله، 1982، ص:14-15)، حيث ما زالت الذاكرة الجماعية تحتفظ بذكريات حول هذه الفترة:

"كُنْتْ فْلاَّحْ وْ لفْلاَحَة دِيكْ الْوَقْتْ مَا بْقَى فِيهَا مَا يْدَّارْ ، كُلْشِي غْلاَ وْ الْمَا (التساقطات المطرية) مَا كَايْنْشْ (...) كَانْتْ عْنْدِي 15 كْتَارْ مْنْ الفْلاَحَة وَ لَيْنِّي كُلُّهَا اَرْضْ بُورْ، مَا كَايْنْشْ اللِّي يْعَاوْنْكْ وْ بْدِينَا نْشُوفُو النَّاسْ اللِّي جَايِّينْ مْنْ الْخَارِجْ (خلال زيارتهم للدوار) عَايْشِينْ بِخِيرْ ... بْنَادْمْ بْدَا يْفْكَّرْ يْمْشِي الْخَارِجْ..." (مُهَاجِر، م.ر 69 سنة) (كنت أمارس الفلاحة، غير أن هذا القطاع أصبح يواجه عدة صعوبات نظرا لقلة التساقطات، حيث كنت أملك 15 هكتارا كلها بورية، هذا في الوقت الذي عرفت المنطقة هجرة مكثفة لأبنائها مما ساهم في تحسن ظروفهم، وهو ما دفعني للتفكير في الهجرة...).

كما أن التطور الذي عرفته الفلاحة المسقية بالمنطقة لم يصاحبه احداث وحدات صناعية قادرة على تثمين الانتاج الفلاحي وتحويل مواد فلاحية إلى منتوجات صناعية، بشكل يضمن توفير فرص الشغل لفئة مهمة من الشباب الذي يعاني من البطالة، مما شكل دافعا مهما للهجرة الدولية

2.2 دو افـع اجتماعـية مرتبطة بقلة فرص الشغل ببني عمير.

عرفت منطقة بني عمير ارتفاع حدة البطالة كنتيجة لتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي فقد تبين لنا من البحث الميداني أن نسبة مهمة من اليد العاملة كانت تشتغل بالقطاع الفلاحي الذي تأزم نتيجة ارتفاع تكاليف الإنتاج، كما ظلت فئة مهمة من السكان تعاني من البطالة.

فما يمكن استنتاجه من معطيات المبيان هو تأزم الظروف الاجتماعية للمهاجرين قبل الهجرة، ويعزى ذلك إلى الأزمة التي أصبح يعرفها القطاع الفلاحي وعجزه عن توفير فرص الشغل لفئة عريضة من شباب المنطقة نتيجة إملاءات المؤسسات المالية الدولية على المغرب في إطار برنامج التقويم الهيكلي، والتي كانت نتائجه كارثية في القطاع الاجتماعي إذ ستساهم في تخفيض فرص الشغل كما يوضح الجدول التالي:

الشكل 2: تطور معدلات البطالة في المغرب ما بين 1990-2000.

السنوات	1989-1992	1996-1997	2000
معدل البطالة	16.0	16.9	21.5

- **Source** : Khadija Elmadmad, 2004, p : 28.

فكما هو واضح من الجدول أعلاه فقد عرفت نسبة البطالة تطورا مهما على المستوى الوطني حيث ارتفع معدلها من 16% خلال الفترة ما بين 1989-1992 إلى حوالي 21.5% سنة 2000، وهي الفترة التي نشطت فيها الهجرة الدولية ببني عمير كما سبقت الإشارة حيث اضطر العديد من شباب المنطقة بسبب تأزم الوضع الاجتماعي إلى الهجرة كوسيلة لتحسين ظروفهم المادية، نظرا لما تتيحه دول الاستقبال من إمكانات لتحقيق ذلك، وبذلك يصبح المهاجر مدركا للمنفعة التي سيحققها من مشروعه الهجروي إذا ما أقبل على تنفيذه وهو ما يحيلنا على نموذج الفرص أو الإمكانات الوسيطة ضمن النظرية الاقتصادية، يقول أحد المستجوبين:

"(...) هْنَا فْالدّوَّارْ كَايْنَة تَمَارَة ولَيْبِّي مَاكَيْنْشْ الْفْلُوسْ (...) كَانْ الْوَاحْدْ مْنّا يخدم نهار كامل(...) فْالطَّالْيَانْ كَايْنَة تَمَارَة وكَايْنِينْ الْفْلُوسْ..." (مُهَاجِر ع. م 60 سنة). (في بلدك تشتغل يوم كامل وبجهد أكثر لكن بمقابل مادي زهيد...، أما في ايطاليا فيمكن أن تقوم بنفس المجهود لكن بأجرة مرتفعة).

من خلال هذا الخطاب يتضح لنا أن الفارق في الأجور بين المغرب والخارج يمثل عنصرا أساسيا ضمن مشروع الهجرة بمنطقة بني عمير، فما يحصل عليه المهاجر هنا يعتبر ضئيلا مقارنة مع ما سيحصل عليه في الخارج حيث الأجور مرتفعة، (نظرية الفرص أو الإمكانات الوسيطة).

كما أن العديد من المهاجرين يعتبرون العزلة التي تعانيها مناطقهم القروية دافعا للتفكير في الهجرة، فمن جهة هناك قلة فرص الشغل ومن جهة أخرى فالدولة لم تتدخل لدعم القطاع الفلاحي الذي تأزمت أوضاعه. هذا في الوقت الذي عجزت فيه المدرسة عن أداء الأدوار التي كانت تقوم بها فيما مضى كعامل للارتقاء الاجتماعي فسياسة التقويم الهيكلي كانت نتائجها سلبية على القطاع العمومي، ولعل هذا ما يفسر لنا غياب وضعف البنيات التحتية بالمنطقة خاصة تلك المتعلقة بالتعليم حيث لم تتمكن شريحة مهمة من سكان المنطقة حسب البحث الميداني من الولوج إلى المدرسة، كما أن نسبة مهمة من السكان لم تستطع متابعة دراستها بمختلف أسلاك التعليم.

ومن ثم فالبنية الثقافية لغالبية سكان المنطقة عامل مفسر للبنية المهنية، كما أنها عامل مشجع لمجموعة من الشباب على اتخاذ قرار الهجرة نحو الخارج من أجل تحسين وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية كما صرح بذلك العديد من المستجوبين.

فقد أمكننا البحث الميداني من الوقوف على بعض من الدواوير التي تفتقر للعديد من المرافق التعليمية والبنى التحتية، هذه الظروف شكلت دافعا قويا لمغادرة الدوار والبحث عن فرص أفضل في الخارج. وعليه كانت الهجرة هي الحل كما عبر عن ذلك الباحث عبد الرحيم العطري بالقول" تؤشر الهجرة دوما على نوع من الحراك الاجتماعي داخل المجال، والذي يفترض انتقالا اجتماعيا من فضاء إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى". (العطري عبد الرحيم، 2006، ص:115).

3.2. دو افــع ثقافــية مرتبطة بكون الهجرة كمعطى ثقافي.

ظلت الهجرة الدولية كثقافة متجذرة وراسخة في مجتمع بني عمير، فالهجرة هي ظاهرة إنسانية والمعطى الثقافي يعتبر أحد أهم الدوافع التي تدفع هذه المجموعات إلى الهجرة من مكان إلى آخر. ومن تم يمكن اعتبار الهجرة بمثابة سلوك مكتسب من المحيط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد، فغالبية الأسر ببني عمير تمتلك مهاجرا على الأقل بالخارج، أي أن الفرد له مجموعة من

الأقارب (أخ، عم، خال...،) بالخارج حيث يصير الفعل الهجروي ثقافة ويتحول إلى سلوك، يقول أحد المستجوبين:

"(...) بْدِيتْ نْفْكّْرْ نْمْشِي لْطّالْيَانْ مْلّي كْنْتْ صْغِيرْ ، عْمَامِي وْ خْوَالِي وْ وْلاَدْهُمْ كُلّْهُمْ مْشَاوْ حْتَّى الْفْقِيهْ دْيَالْ الدُّوَّارْ مْشَا (...) هْنَا فْالدُّوَّارْ كَتْصِيبْ فْخْدَة كُلْهُمْ فْالطّّالْيَانْ (...) هَادْ الْبْلاَدْ دَّاتْ لِينَا الْعْقْلْ ، نْفْكّْرُوا فِيهَا بالّيلْ وْ النّْهَارْ..."(مهاجر، م.ر69 سنة) (بدأت التفكير في الهجرة منذ الطفولة، فكل أقاربي قد هاجروا ولم يسلم من هذه الهجرة امام مسجد قريتنا... وبصراحة فالخارج قد سلب كل عقولنا نفكر فيه باستمرار).

ومما يؤكد أن الهجرة قد صارت ثقافة ببني عمير هو أن العديد من المهاجرين كانوا ينتمون لأسر ميسورة تمتلك مساحات شاسعة من الأراضي المسقية، حيث لم تعد مقتصرة على الأسر الفقيرة بالمنطقة. هذه الثقافة قد تتحول إلى مرض كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين بالقول: " هكذا تتجدر هاته العدوى في مناطق الانطلاق لتصبح مرضا متفشيا علاجه الوحيد هو الهجرة الدولية ذاتها" (منير صالح، 1996، ص:299) فيصبح الحل هو الهجرة الدولية ذاتها، ومن ثم تصير الهجرة ظاهرة تغذي نفسها بنفسها.

4.2. دو افـع نفســية مرتبطة بالتأثير النفسي للهجرة على باقي الفئات.

مارست الهجرة تأثيرا قويا على فئات عريضة من شباب المنطقة، حيث ظل هذا الحلم يراود كل فرد فعبارة ""بْغِيتْ نْمْشِي لْطْلاَيَنْ نْجِيبْ فْلُوسْ خْرَايْنْ" (أريد الهجرة نحو ايطاليا للحصول على المال) تتردد باستمرار بل ترسخت في الذاكرة الجماعية للمنطقة. فالزيارات المتكررة للمهاجر وحجم تحويلاته المالية والقيمة التي يحظى بها داخل الأسرة والدوار، كل ذلك يؤجج في نفوس الشباب فكرة الهجرة وتتأكد الفكرة كلما تأزمت الظروف الاقتصادية والاجتماعية، مما يجعل حدث الهجرة قريبا منه نفسيا كما أشار إلى ذلك الباحث "أبو العز" في دراسته لمنطقة تادلا.

إذ لم تعد للمسافة الكيلومترية أي معنى أمام المسافة النفسية التي تجعل حدث الهجرة قريبا إلى المهاجر العميري، فتصبح العراقيل والحدود الجغرافية التي تفصله عن الوصول إلى وجهته ولا تشكل بالنسبة إليه أية صعوبة، ولذلك نجده يقطع الأدغال أو يعبر العديد من البلدان في سبيل الوصول إلى ايطاليا، يقول أحد المستجوبين:

"(...) الْخَارِجْ بالنِّسْبَة لِيَا هُوَ مِيلاَنُو، مَتَنْعْرْفْشْ شِي بْلاَدْ أُخْرَى، وحْتَّى وْلاَدْ الدَّوَّارْ بْحَالِي (...) كُلْ الْوَقْتْ تَنْهْدْرُو عْلِيهَا..." (مهاجر، س. م 75 سنة). (الخارج بالنسبة لي هو ميلانو (عاصمة ايطاليا) لا أعرف بلدا سواها ونفس الشيء بالنسبة لأبناء قريتي...).

فحلم الوصول إلى الضفة الأخرى لا يفارق الفرد حيث يشكل هاجسا نفسيا بالنسبة له، نتيجة صورة النجاح الاجتماعي التي يجسدها المهاجر خلال زيارته لموطنه الأصلي، والتي تعطي انطباعا لباقي الأفراد على أن المهاجر يعيش في البذخ والثراء ببلدان المهجر، (Khadija Elmadmad, 2004 ,p : 27) فالمهاجر هو ذلك الشخص الذي يحس بنوع من العنف في موطنه الأصل نتيجة ما يتصوره عن الحياة والعيش بدول المهجر، من خلال ما يراه في حيه ومدينته من أثار الهجرة الخارجية مما يدفعه نحو التفكير في المغامرة.

هذه التصورات حول طبيعة الحياة بالخارج سرعان ما تدفعه نحو التقليد الاجتماعي، أي تقليد أفراد من محيطه الاجتماعي نجحوا في الهجرة، فالتقليد هنا هو إعادة إنتاج السلوك الذي شكله شخص أخر. وعليه فان ظهور الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير هو نتاج لهذه العوامل مجتمعة، فهي ظاهرة معقدة يتداخل فيها ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي ونفسي، ولا يمكن النظر إليها من زاوية واحدة بل المطلوب دراستها من زوايا متعددة وفق رؤية شمولية.

3. عوامل وآليات انتقال الفعل الهجروي ببني عمير

لقد تفننت أدبيات الهجرة بوصف المنطقة على أنها حوض هجروي مهم، من هذا المنطلق سيكون من اللازم تحديد الكيفية التي جعلت من هذا المجال حوضا هجرويا، وذلك من خلال الوقوف على آليات انتقال الفعل الهجروي. حيث لعبت الشبكات الهجروية وما ارتبط بها من قرابة جغرافية ودموية دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي، كما كان للقرب الجغرافي لبني عمير من منطقة بني مسكين دور لا يقل أهمية عن سابقه في انتقال الهجرة.

1.3.دور الشـبكة الهـجروية في انتشـار الهجرة الدولية داخل منطقة بني عمير:

تعد الشبكة الهجروية réseau migratoire بمثابة الوسيلة التي من خلالها استطاع عدد من المهاجرين الوصول إلى بلدان الاستقبال، فهي تمارس تأثيرها على المرشح الجديد للهجرة إذ قبل هجرته فهو يحتاج إلى ما يضمن نجاح مشروعه الهجروي ببلد الاستقبال وبعد وصوله يحتاج إلى من يوجهه ويساعده.

هذا الدور موكول للمهاجرين الأوائل الذين شكلوا شبكة هجروية في كل من ايطاليا واسبانيا، فمن أجل ضمان تعلقهم واستمرارية علاقتهم بالموطن الأصلي يعمدون إلى تأسيس مجتمع قروي مصغر يستجيب لنفس القواعد والتنظيم للموطن الأم مما يضمن الارتباط الوثيق به. وهو ما شجع على هجرة العديد من المهاجرين.

فقد لعبت الشبكة الهجرية دورا مهما في احتضان المهاجر الجديد ببلد الوصول، ذلك أن حوالي ثلاثة أرباع من المهاجرين الذين شملهم البحث الميداني قد استفادوا من خدمات مهاجرين آخرين، وهو ما يشكل دليلا قويا على العلاقات الاجتماعية ومدى دورها في انتقال الفعل الهجروي ببني عمير. فالقرابة الدموية بين المهاجرين والمرشحين للهجرة لعبت دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي وانتقاله بين أبناء المنطقة.

فمن المؤكد أن الهجرة بالمنطقة لعبت فيها العلاقات الاجتماعية دورا أساسيا، فالمهاجر يظل مرتبطا بموطنه الأصلي بحكم أواصر القرابة الدموية القريبة والبعيدة التي تربطه بالدوار، فخلال زياراته المتكررة يعمل على اصطحاب أحد أفراد أسرته أو من تربطهم به قرابة دموية أو انتماء جغرافي، كما يوفر لهم مجموعة من الخدمات والمساعدة ببلد المهجر فتتسع دائرة الهجرة بالمنطقة وتتطور الشبكة الهجروية. يقول أحد المستجوبين:

" إذا كنت تتوفر على أحد أفراد عائلتك بالخارج فيمكنك أن تهاجر من الغد، لأنهم سيوفرون لك ما تحتاجه (...) وسيجعلون من هجرتك أمرا سهلا يمكن تحقيقه وباطمئنان (...) أما إذا كنت لا تملك أحدا فأنت لا تدري أين تذهب ومن سيساعدك هناك..." (مهاجر، س. غ، 56 سنة).

1.1.3.المستوى الأسـري ضمن الشبـكة الهجـروية:

تلعب الأسرة دورا مهما في توجيه المشروع الهجروي للأفراد المقبلين على الهجرة وحتى في انتقال الفعل الهجروي بينهم، ففكرة الهجرة تكون أقرب إلى ذهن الفرد وتمارس عليه ضغطا يوميا كلما توفر في أسرته مهاجرون، بل تزيد من احتمال الهجرة وتوجيهها نحو وجهة معينة دون أخرى، "فالأسرة تعبر عن أهمية الروابط التي تربط بين مناطق الانطلاق والاستقبال" كما تمثل استمرارية لهذه العلاقات.

من هنا يمكن القول إن الأسرة ظلت تلعب دورا أساسيا في هجرة أحد أفرادها فالمهاجر، منذ وصوله يظل على اتصال بمحيطه وأسرته، هذه الأخيرة تظل تبحث عن المعارف أو ما يمكن تسميته بشبكة ثقة réseau de confiance التي يمكن أن يعتمد عليها هذا الفرد سواء أثناء سفره أو عند وصوله إلى بلد المهجر، حيث تصير الهجرة بمثابة استراتيجية أسرية، تسعى من خلالها الأسر إلى تقديم مجموعة من الخدمات التي تدفع بالمهاجر نحو وجهة رئيسية دون أخرى.

لقد تحكمت الروابط الاجتماعية في هجرة أبناء المنطقة نحو الخارج، ذلك أن الأسرة التي يهاجر أحد أفرادها سرعان ما تشهد أيضا هجرة أفراد آخرين مقارنة بالأسرة التي لا تملك مهاجرا فتنتقل بذلك عدوى الهجرة، فقد ظلت القرابة الدموية حاضرة بقوة في انتقال الفعل الهجروي، فالأب يصطحب أبناءه والابن يحاول الالتحاق بوالده والأخ يعمل على مساعدة أحد إخوته على الهجرة، يقول أحد المستجوبين:

"(...) فْ 1972 مْشِيتْ لْطُورِينُو(منطقة ايطالية)، مْلِّي رْجْعْتْ دِّيت وَاحْدْ الطِّفْلْ خُويَا (...) وْ مْلِّي طّْبْقَتْ الْفِيزَا فْ 1991 دِّيتْ الْوْلاَدْ وْ مُولاَتْ الدَّارْ... "(مهاجر، ع.ز 68 سنة) (في سنة 1972 توجهت نحو طورينو "مدينة ايطالية"، وعند زيارتي للمغرب اصطحبت أخي (...) وبعدما فرضت التأشيرة سنة 1991 قمت باصطحابي أسرتي المكونة من الزوجة والأبناء...)

حيث تتوفر عوامل انتشار وانتقال الفعل الهجروي بالنسبة للأسرة الأولى، وهو ما اتضح لنا خلال البحث الميداني إذ أمكننا الوقوف على تيارات هجروية متعاقبة. هذه التيارات الهجروية سوف تعمل على توسيع دائرة الهجرة لتشمل الأقارب والأصدقاء وأبناء الدوار من قريب أو بعيد، وبذلك تصير الهجرة ظاهرة تغذي نفسها بنفسها لتجعل من بني عمير مجالا هجرويا.

حيث تظل المؤسسة الأسرية كما أوضحت الباحثة سارة هاربيزون، بشأن اتخاذ قرار الهجرة حافزا جوهريا في قرار الهجرة، هجرة فالأشخاص يتنقلون حيث يوجد بعض أفراد عائلتهم (أخ، عم، خال...،) مما يوفر لهم الدعم المادي والنفسي مما يساهم في التقليل من مخاطر وتكاليف المشروع الهجروي ويضمن نجاحه (سارة هاربيزون، 1981، ص: 125).

"(...) كنت كل يوم أناقش والدي رغبتي الملحة للهجرة نحو ايطاليا، وأحيانا أمتنع عن مرافقته في أعمال الفلاحة، فما كان منه إلا أن اقتنع بالفكرة خاصة بعدما شاهد تحسن وضعية أحد أبناء عمي بعد هجرته، (...) وبذلك قام ببيع قطعة أرضية من أجل مساعدتي على الهجرة..." (مهاجر، ق.ر 60 سنة).

ومن ثم تحولت الهجرة إلى نوع من الاستثمار تتأكد فاعليته من خلال الزيارات المتكررة للمهاجرين وتحويلاتهم المالية. وهو ما يحيلنا على نموذج الربح ناقص الكلفة الذي أسس له Sjaastad، حيث تدرك الأسرة أن المنفعة التي ستحصل عليها من هجرة أبنائها تفوق بكثير التكاليف المترتبة عنها، وهو ما عبر عنه أحد الباحثين بعودة الاستثمار. (أبو العز، 2003، ص:120).

2.1.3 المـــستوى العـــائلي ضمن الشـــبكة الهجـــروية:

تتوسع دائرة الهجرة لتتعدى المستوى الأسري ضمن الشبكة الهجروية، حيث تساهم القرابة الدموية والروابط العائلية في انتشار الفعل الهجروي، هذه الروابط سواء كانت موروثة أو مستحدثة نتيجة المصاهرة بين الأفراد تعتبر من الآليات التي تساهم في انتشار الهجرة، حيث لا يتردد أبناء العمومة في مساعدة بعضهم البعض من أجل الهجرة نحو الخارج.

فقد أمكننا البحث الميداني من الوقوف على عدد مهم من المهاجرين الذين هاجروا نحو ايطاليا وإسبانيا بفعل مساعدة أحد أقاربهم سواء أثناء السفر أو عند الوصول إلى بلد المهجر، حيث صرح العديد منهم على دور أفراد العائلة الذين هاجروا مبكرا في توجيه هجرتهم نحو كل من ايطاليا واسبانيا. فشبكة الهجرة تسهل إقامة المهاجر الجديد ; 2002 ; Gisella Raimondi ; et Sofia Borri)

(p: 358-366باعتباره وافدا لا دراية له بالعالم الذي يستقبله، حيث يتم توجيهه وتقديم المساعدة له من طرف مهاجرين من أفراد عائلته، يصرح بعض المستجوبين:

" مْلِّي وْصلْتْ لْطَّالْيَانْ مَكْنْتْ كَنْعْرْفْ وَالُو، دْخْلْتْ لْعَالَمْ غْرِيبْ عْلِّيَّا(...) وْلاَدْ عْمِّي هْزُّونِي (قدموا لي المساعدة)، وْوَرَّوْنِي كِيفَاشْ نْبِيعْ ونْشْرِي فالطَّالْيَانْ (...) الْمُهِمْ بْقِيتْ 15 يُومْ (...) ومْنْ بْعْدْ وْلِّيتْ كَنْجِيبْ السِّلْعَة بُوحْدِي...". (مهاجر م أ 56 سنة) (عندما وصلت إلى ايطاليا لم أكن أعرف أي شيء، غير أن أبناء عمي قدموا لي يد المساعدة وساعدوني في ممارسة التجارة وبعدها بدأت أعتمد على نفسي).

ومن ثم فالروابط العائلية (أخ، عم، خال، ابن العم...،) ساهمت بدورها في هجرة عدد مهم من الأفراد من خلال الخدمات التي يقدمها المهاجرون لأبناء عمومتهم سواء خلال السفر أو بعد الوصول إلى الخارج. وعليه تشكل هذه الروابط رأسمال عالي القيمة له دور مهم في نجاح مشروع الهجرة، كما يعتبر من آليات انتشار هذه الظاهرة.

2.3.يعتبر الانتماء الجغرافي والقبلي مستوى مهم ضمن الشبكة الهجروية:

فالدوار يشكل وحدة اجتماعية قوية، مما يجعل أبناءه وان لم تربطهم علاقات دموية لا يترددون في تقديم المساعدة لبعضهم، حيث تدخل شبكة الأصدقاء والمعارف ضمن الرأسمال الاجتماعي (الأسعد محمد، 2005، ص:51) الذي يلعب دورا مهما في توسيع دائرة الهجرة الدولية بين مناطق الانطلاق ومناطق الوصول، كما أن الانتماء المشترك لنفس الدوار أو الفخذة القبلية يجعل العديد من المهاجرين يقدمون المساعدة للأفراد الراغبين في الهجرة يقول بعض المستجوبين:

" (...) هاجرت مع أحد المهاجرين من دوار أولاد ركيعة، حيث كان والدي على معرفة جيدة به (...)، وقدم لي كل المساعدة سواء أثناء الهجرة أو عند الوصول فقد كنت في البداية أشتغل معه في التجارة ومكثت معه مدة من الوقت (...) فأبناء الدوار يجب أن يقدموا المساعدة لكل مهاجر (...) وأنا بدوري ساعدت أحد الأفراد على الهجرة..." (مهاجر، و.ع 69 سنة).

فالمهاجرون بدول الوصول يشكلون شبكة ثقة réseau de confiance بالنسبة للوافد الجديد حيث يصبح مطمئنا للمساعدة التي سيجدها عند وصوله مما يشجعه على الهجرة، ومن ثم تتوسع الشبكة الهجروية. ومن ثم ساهمت الروابط القبلية والانتماء الجغرافي المشترك في هجرة العديد من

الأفراد ببني عمير، حيث توسعت دائرة الهجرة وتطورت الشبكة الهجروية لتشمل الدوار بأسره، إذ لم تعد تقتصر على القرابة الدموية بل تعدت ذلك فأصبح الانتماء إلى موطن واحد يتحكم في توجيهها.

ولعل هذا ما يفسر لنا أشكال التضامن المتعددة بين المهاجرين بالمهجر بحكم انتمائهم لنفس الدوار ونفس المجال الجغرافي فيقدمون خدمات لمهاجرين لهم نفس الانتماء القبلي. مما يحيلنا عن الحديث آنذاك عن شبكة هجروية على المستوى المحلي وأحيانا تشمل هذه الخدمات مهاجرين من مناطق أخرى خارج بني عمير بحكم الانتماء إلى نفس الإقليم أو الوطن فيصبح للشبكة الهجرية حينئذ مفهوم جهوي أو وطني.

وعموما فان هجرة أحد الأفراد يبقى سلوكا فرديا في ظاهره ولكن أن تصير مهاجرا بإيطاليا أو اسبانيا هو صيرورة اجتماعية تلعب فيه الشبكة الأسرية والعائلية دورا مهما، فالفرد ينبغي أن يتوفر على المعرفة الهجروية savoir-migrer، ونعني بها مجموع الخبرات والمهارات التي يراكمها المهاجرون من خلال الشبكات الهجروية التي توفر كل الخدمات التي يحتاجها المهاجر الجديد لنجاح مشروع هجرته سواء بمناطق الانطلاق، أو العبور، أو الوصول. (Chadia. Arab, 2009, p :37) ووفق هذا النموذج انتشرت الهجرة الدولية بمنطقة بني عمير.

3.3.الزيـــارات المتكـــررة للمـــوطن الأصلـي تعتبر من عوامل انتشـار الهجـرة:

تشكل تلك الزيارات التي يقوم بها المهاجر إلى مسقط رأسه، فرصة لإظهار مدى نجاح مشروعه الهجروي فأثناء زيارته يعمل على توزيع عدد من الهدايا مثل "...بن وعطور وملابس وأجهزة منزلية وكهربائية". كما يستغل هذه الزيارات ليقدم لأسرته ما ادخره من مال بالمهجر ذلك أن المهاجرين الأوائل يحرصون على تحويل ما جمعوه من مال بشكل عيني (أوراق نقدية) لأسرهم، دون إرساله عن طريق البريد أو المؤسسات البنكية نظرا لعدم انتشارها بما يكفي آنذاك.

أضف إلى ذلك أن هذا المهاجر خلال زيارته يصطحب معه وسيلة نقل خاصة مما يشكل مؤشرا على نجاح مشروعه الهجروي ومظهرا يعكس "الوجاهة الاجتماعية"، ويؤثر على باقي أفراد

أسرته وأبناء جيرانه وشباب المنطقة، وهو ما أسماه أحد الباحثين "باستعراض العضلات". (عبد الرحيم العطري، 2006، ص:124).

هذه السلوكات تعتبر من الآليات المرئية التي تمارس تأثيرا نفسيا على الفئات المرشحة للهجرة من خلال الضغط والاستفزاز الذي تمارسه، والذي يؤدي في نهاية المطاف بهذه الفئات إلى الاقتناع بفكرة الهجرة وعمل المستحيل على تنفيذها ومن ثم انتشار ثقافة الهجرة. وتشكل هذه الزيارات التي يقوم بها المهاجر كل سنة نحو موطنه الأصلي جزءا من ثقافة الهجرة بالمنطقة، فالبحث الميداني يؤكد هذه الحركية المستمرة

ومن طبيعة الحال فالمهاجر من خلال هذه السلوكات فإنه يعبر عن مدى نجاح مشروعه الهجروي وتحقيقه لأحلام الشباب، فلا تلبث تترسخ في ذهن كل فرد فكرة الهجرة خاصة أولئك الذين تربطهم قرابة أو معرفة بالمهاجر العائد. إذ سرعان ما يسترجعون في الأذهان ماضي هذا المهاجر لمقارنته بالحاضر، مما يدفع بهم الى التفكير بجدية في إمكانات التحرر من قطران الوطن"، (العطري،2006، ص: 129) ومن ثم تصير الهجرة وسيلة للحراك الاجتماعي وللقطيعة مع الماضي.

حيث تظل هذه السلوكات تمارس تأثيرها على الفئات المرشحة للهجرة حيث" تؤجج في أعماق الذين انسدت في وجههم الآفاق سؤال الهجرة نحو الضفة الأخرى (...) فعسل الفردوس المفقود يصير مشاهدا من قبل الجميع، بل إنه يصير محرضا ومحفزا". (العطري، 2006، ص:124).

كم تصير الهجرة سلوكا يتم اكتسابه من المحيط الاجتماعي للفرد ليتم إعادة إنتاجه، ومن ثم تنتشر الهجرة كممارسة وتتوسع دائرتها وتشبه في ذلك "بقعة الزيت" التي سرعان ما تغطي مجالا شاسعا كلما وجدت ظروفا ملائمة. فالتقليد الاجتماعي له حضور بارز في انتشار الهجرة بين الأفراد. حيث يسعى الفرد نحو تقليد النماذج السابقة خاصة تجارب الهجرة النموذجية والناجحة منها.

4.3 القـرب الجـغرافي من بني مسكيـن ساهم في انتقــال الفعـل الهجروي نحو بني عمير:

بالإضافة إلى العوامل الداخلية ببني عمير والتي تحكمت في انتقال الفعل الهجروي بين مناطقه، فقد ساهمت عوامل خارجة عنه في ترسيخ ثقافة الهجرة بهذا المجال، ونعني هنا التأثير الذي قامت به منطقة "بني مسكين". حيث تعتبر منطقة بني مسكين التي تقع بالجنوب الشرقي لإقليم سطات من المناطق التي هاجر أبناؤها نحو ايطاليا منذ الستينات واستفادت في ذلك من

علاقاتها مع الدار البيضاء والتسهيلات التي حظي بها الأفراد للحصول على جواز السفر، وهو ما جعل هذه المنطقة تراكم رصيدا هجرويا مهما حيث استطاع المهاجرون الأوائل إنشاء شبكة هجروية réseau migratoire نجحت في استقدام مرشحين جدد. حيث شكل نجاحهم في العبور إلى الضفة الشمالية نموذجا يقتدى به لدى شباب المنطقة، كما شكلوا شبكة للتواصل والإخبار، مما ساهم في نشر ثقافة الهجرة داخل مجال بني عمير، يقول أحد المستجوبين:

" (...) في يوم كنت جالسا بأحد المقاهي بالدوار، حيث التقيت بأحد المهاجرين من بني مسكين يدعى صالح المسكيني، (...) وقد كان مقررا أن يرجع إلى إيطاليا اليوم الموالي، فطلبت منه أن يصطحبني معه خلال رجوعه (...) وأقنعه أحد أعمامي بذلك نظرا للصداقة التي جمعتهما، وبالفعل وافق على طلبي فهاجرت إلى إيطاليا رفقته..." (مهاجر، م.ك 62 سنة).

فقد استفاد العديد من المهاجرين من خدمات ووساطة مهاجري منطقة بني مسكن التي راكمت رصيدا هجرويا مهما، مما مكنهم من إنشاء شبكة هجروية مبكرة بإيطاليا سيكون لها دور كبير في توجيه هجرة بني عمير وتقديم المساعدة اللازمة لهم سواء أثناء الهجر أو عند الوصول.

كما ساهم القرب الجغرافي في استقرار العديد من الأفراد من بني مسكين في مناطق بني عمير، مما شكل عاملا مهما في انتقال الفعل الهجروي، فيكفي أن نقف على أحد الدواوير لمعرفة مدى مساهمة هذا العامل في إدخال ثقافة الهجرة، ففي دوار أولاد ركيعة مثلا وجدنا أن أحد المهاجرين الأوائل من بني مسكين كان استقراره بالمنطقة منذ مدة في إطار العلاقات الفلاحية ليهاجر إلى ايطاليا رفقة اثنين من أبناء الدوار وخلال زياراته المتكررة لمسقط رأسه كان يصطحب معه أفرادا آخرين مما ساهم في توسيع دائرة الهجرة بالمنطقة.

4. خاتمة:

هكذا يتضح لنا بأن بني عمير قد أصبحت منطقة لانطلاق عدد من المهاجرين في اتجاه كل من ايطاليا واسبانيا مما جعل منها حوضا هجرويا مهما على الصعيد الوطني بدءا من الثمانينات. هذا الاندماج في مسلسل الهجرة الدولية مرده إلى الظروف التي عرفتها المنطقة خلال هذه الفترة، والتي

تمثلت في تأزم القطاع الفلاحي بسبب النتائج السلبية لبرنامج التقويم الهيكلي على القطاع الفلاحي، وما عرفه المغرب آنذاك من فترات جفاف متعاقبة.

هذا الوضع انعكس سلبا على القطاع الاجتماعي حيث ساهم في الرفع من حدة البطالة، مما دفع بالعديد من شباب المنطقة إلى التفكير في الهجرة خاصة بعد ظهور دول جديدة تعاملت بنوع من المرونة مع المهاجرين، ونعني هنا كل من ايطاليا واسبانيا فهذان البلدان قد تحسن نظامهما الاقتصادي وأصبح عاملا مشجعا لاستقطاب المهاجرين.

فالهجرة عرفت انتشارها الواسع بالمنطقة بفضل تواجد شبكة هجروية مهمة ببلدان الاستقبال نجح في إنشائها المهاجرون الأوائل، حيث لعبت العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية والأسرية دورا مهما في انتشار الفعل الهجروي. كما كان لمنطقة بني مسكين دور أساسي في هجرة العديد من الأفراد بحكم علاقة الجوار الجغرافي التي جمعتهم، لتتحول بذلك بني عمير في ظرف وجيز بفعل هذه الآليات إلى حوض هجروي بامتياز.

وانطلاقا من نتائج هذا البحث يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

- ضرورة تثمين الذاكرة الهجروية للمنطقة باعتبارها تشكل رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالهجرة قد ساهمت في مجموعة من التحولات المجالية والمجتمعية.
- اعتبار الذاكرة الهجروية للمنطقة بمثابة رأسمال رمزي ينبغي توظيفه في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالتجارب والخبرات التي حصل عليها العديد من مهاجري بني عمير تفوق قيمتها قيمة العملة الصعبة.
- تثمين كل ما له علاقة بالذاكرة الهجروية من خلال ما يتم جمعه من وثائق، صور، أمثال شعبية...، بهدف التعريف بها في إطار متحف للذاكرة الهجروية للمنطقة نظرا لأهميته في حفظ هذا التراث الشفوي وكذا لتوثيق الفعل الهجروي.

- قائمة المراجع:

أبلال، عياد. (2006)، الهجرة السرية مقاربة سوسيولوجية، مطبعة أنفو برانت، ط 1. فاس.

توفيق، أكومي. (2000)، البحث في الجغرافية البشرية بين مفترق الطرق بين المنهجين الكمي والكيفي، مجلة جغرافية المغرب، مجلد 20، السلسلة الجديدة، عدد1-2.

سارة، هاربيزون. (1981)، هيكل الأسرة وقرار الأسرة بشأن اتخاذ قرار الهجرة، مناهج متعددة الاختصاصات للدراسات على المستويات البسيطة في الدول النامية والمتقدمة، مطابع بيرجام.

عبد الرحيم، العطري. (2006)، تحولات المغرب القروي: أسئلة التنمية المؤجلة، طوب بريس، ط 1، الرباط.

عبد الفتاح، أبو العز. (2003)، تأثير الهجرة الدولية على المجال الريفي بتادلة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط.

عبد المجيد، ازمو. (2006)، التوسع الحضري واستهلاك المجال الفلاحي بسهل تادلة حالات بني ملال والفقيه بن صالح والسبت أولاد النمة، أطروحة لنيل الدكتوراه كلية الآداب، بني ملال.

عبد الله، عوينة. (1982)، المظاهر المناخية للقحولة: الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء، مجلة جغرافية المغرب، السلسة الجديدة، عدد6.

غدنز، أنتوني. (2001)، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة فايز الصايغ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط 4 بيروت.

كيال، مها. (2015)، السيرة الحياتية منهجية وتقنيات بحثية، مجلة الثقافة الشعبية، أفاق، عدد 29.

محمد، أسعد. (2014)، التحولات المعاصرة للمسكن الريفي: حالة هضبة بن سليمان، في كتاب: دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، تنسيق: موسى كرزازي، محمد الأسعد، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 121، ط1، الرباط.

محمد، مدينة. (1992)، بعض مظاهر تكثيف أنظمة تربية الماشية بسهل تادلا حلة قطاع بني عمير، مجلة تادلا التاريخ، المجال، الثقافة. عدد1، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب بني ملال.

منير، صالح. (1996)، من الفقيه بن صالح الى ميلانو: الهجرة الدولية المغربية إلى ايطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط.

Chadia. A, (2009), Les Ait Ayad la circulation migratoire des Marocains entre la France, l'Espagne et l'Italie, Presses universitaire de Rennes.

Khadija. E, (2004), les migrants et leurs droits au Maghreb, EL MAARIF AL JADIDA-RABAT.

Sofia. B, Gisella. R, (2002), Les activités de travail indépendant des immigrés marocains en Lombardie, AMERME, Milano, Exodus.

- Arabic references in English:

Ablal, A. (2006), *Clandestine Migration: A Sociological Approach (al-Hijrah al-sirrīyah muqārabah sūsiyūlūjīyah)*. Info-Brand Press. Fes.

Tawfiq, A. (2000), *Research in Human Geography at the Crossroads between the Quantitative and Qualitative Approaches (al-Baḥth fī al-jughrāfīyah al-basharīyah bayna muftaraq al-ṭuruq bayna almnhjyn al-kammī wālkyfy)*. Moroccan Geography Journal

Harbison, S. (1981), *Family Structure and Family Decision Making (Haykal al-usrah wa-qarār al-usrah bi-sha'n ittikhādh qarār al-Hijrah), Interdisciplinary Approaches to Small-Scale Studies in Developing and Developed Countries*. Pergamum Press.

Al-Otri, A. B. (2006), *Transformations of Rural Morocco: Deferred Development Questions (Taḥawwulāt al-Maghrib al-Qarawī : as'ilat al-tanmiyah al-mu'ajjalah)*. Top Press. Rabat

Abu Al-Ezz, A. F. (2003), *The Impact of International Migration on the Rural Area in Tadala (Ta'thīr al-Hijrah al-Dawlīyah 'alá al-majāl al-rīfī btādlh)*, [Doctoral thesis, Mohammed V University]. Rabat

Izmo, A. (2006), *Urban Expansion and the Consumption of the Agricultural Field in the Tadla Plain, the Cases of Beni Mellal, Al-Faqih Ben Saleh, and Al-Sabt Ould Al-Nama (al-Tawassu' al-ḥaḍarī wāsthlāk al-majāl al-Fallāḥī bshl tādlh ḥālāt Banī Milāl wa-al-faqīh ibn Ṣāliḥ wa-al-Sabt Awlād alnmh)*, [Doctoral thesis, Faculty of Arts, Beni Mellal].

Aouina, A. (1982*), Climatic Manifestations of Aridity: Drought in Morocco and the Countries Neighbouring the Sahara (al-Maẓāhir al-muanākhīyah llqḥwlh: al-jafāf fī al-Maghrib wa-al-buldān al-mujāwirah lil-ṣaḥrā')*. Moroccan Geography Journal.

Giddens, A. (2001), *Sociology: with Arabic inputs ('Ilm al-ijtimā': ma'a mdkhlāt 'Arabīyah)*. Center for Arab Unity Studies. Beirut.

Maha, A. (2015), *Biography, Methodology and Research Techniques (al-Sīrah al-ḥayātīyah manhajīyah wa-tiqnīyāt baḥthīyah)*. Popular Culture Journal.

Asaad, M. (2014), *Contemporary Transformations of Rural Housing: The Case of the Ben Slimane Plateau (al-Taḥawwulāt al-mu'āṣirah llmskn al-rīfī: ḥālat Haḍabat ibn Sulaymān), in the book: The Dynamics of Agricultural Fields in Morocco*. Publications of the Faculty of Arts and Human Sciences, Rabat.

Medina, M. (1992), *Manifestations of the Intensification of Livestock Breeding Systems in the Tadla Plain (Ba'ḍ maẓāhir tkthyf anẓimat tarbiyat al-māshīyah bshl tādlā Ḥallah Qiṭā' Banī 'Umayr), Hilla, Beni Amir Sector*. Tadla Magazine.

Mounir, S. (1996), *From the jurist Ben Saleh to Milan: Moroccan international migration to Italy and its impact on the areas of departure (Min al-Faqīh ibn Ṣāliḥ ilá mylānw: al-Hijrah al-Dawlīyah al-Maghribīyah ilá Īṭāliyā wa-ta'thīruhā 'alá manāṭiq al-inṭilāq)*, [PhD thesis, Mohammed V University].

5. ملاحق:

الشكل	العنوان	الصفحة
الشكل رقم 1.	خريطة توزيع الدواوير التي خضعت للدراسة الميدانية.	03
الشكل رقم 2.	جدول تطور البطالة في المغرب ما بين 1990و2000.	09